Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

سؤال القيمة بالمدرسة العمومية الجزائرية: مقاربة سوسيولوجية

QUESTION OF VALUE IN THE ALGERIAN PUBLIC SCHOOL: AN APPROACH IN SOCIOLOGY OF EDUCATION

عبد الحليم مهورباشة.Abedlhalim Mahourbacha
مريم معبود.Meryem Maboud
جامعة سطيف2، halimbacha680@yahoo.fr
جامعة سطيف2، fine.kharfallah.adil@gmail.com
المؤلف المرسل: عبد الحليم مهورباشة Abedlhalim Mahourbacha الإيميل :
halimbacha680@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019-09-09 تاريخ القبول : 2020-12-12

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة ظاهرة التربية على القيمة من منظور سوسيولوجي، متخذة من التربية على القيمة في المدرسة العمومية الجزائرية كمثال تطبيقي، كشفت الدراسة عن الاختلالات الوظيفية التي تعاني منها المدرسة الجزائرية، وانعكاساتها على منظومة القيم، كذلك عرضت بعض الظواهر السلبية كالعنف في الوسط التربوي، والغش في الامتحانات، حيث دللنا من خلال هذه الظاهرتين على هشاشة القيمة لدى التلاميذ في المدرسة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، القيم، التربية، العنف المدرسي، الغش في الامتحانات.

ABSTRUCT

The aim of this study was to treat the phenomenon of value in the sociology of education. The study reveals the dysfunctions of the Algerian school and its impact on the value system, as well as the study of certain negative phenomena, such as violence in the educational environment and cheating in exams, which reflect the vulnerability of value to the students of the Algerian school.

Keywords: school, values, education, school violence, cheating in exams

مقدمة.

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي حضيت ولا تزال بالتحليل من طرف الباحثين في مختلف حقول العلوم الاجتماعية، حيث نعثر على مئات المقالات والأبحاث التي تتناول وظائفها، وأساليبها التربوية ومناهجها التعليمية، وعلاقتها بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي في المجتمعات الحداثية، فساهمت سوسيولجيا التربوية في مقاربته هذه المؤسسة كظاهرة اجتماعية بامتياز، يُطالعنا متنها النظري بمقاربات متعددة حول المدرسة العمومية، كأهم مؤسسة للتنشئة الاجتماعية في الأزمنة الحديثة، والصلة التي تجمع هذه المؤسسة بميلاد ظاهرة الدولة-الأمة في المجتمعات الغربية، وكيف تم تعميمها كنموذج تربوي على كافة المجتمعات الإنسانية، ومن بينها المجتمعات العربية التي انتقلت إليها عن طريق الظاهرة الكولونيالية.

طرحت تساؤلات عديدة حول وضعية المدرسة في المجتمعات العربية، على اعتبار أن هذه المجتمعات تعاني من ثنائية مزمنة: الأصالة والحداثة، حيث سعت الدولة الوطنية في العالم العربي إلى توظيف المدرسة كمؤسسة تربوية في علمية التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة، وكأداة لإكساب الناشئة مجموعة من القيم المجتمعية من جهة أخرى، إلا أن هذه المؤسسة لم تسلم من الصراعات الأيديولوجية بين

مختلف الفاعلين السياسيين، ما أدخلها في أزمات متتالية، أثرت على وظائفها التعليمية والتربوية، وعصفت بقيمتها لدى الأفراد والجماعات الاجتماعية المشكلة للنسق الاجتماعي الكلي، فتشير مختلف التقارير الصادر عن المنظمات الدولية إلى التردي المعرفي والقيمي الذي تعاني منه المدرسة العربية[1].

1-صياغة الاشكالية:

في المجتمع الجزائري، راهنت الدولة الوطنية على المدرسة العمومية، كأداة فاعلة في عملية التنمية الاقتصادية والثقافية، فحققت العديد من المكاسب الاجتماعية في سبعينات القرن الماضي، حيث أتاحت للعديد من الفئات الاجتماعية عبر التعليم المجاني؛ تحقيق مستوى من الترقية الاجتماعية، إلا أنها سرعان ما دخلت في عمليات إصلاح تربوي متتالية، فلا يكاد يأتي نظام سياسي إلا ويكون قد جلب معه إصلاحا تربويا، لذلك يجمع الفاعلون التربويون والباحثون اليوم؛ أن المدرسة الجزائرية تعاني من أزمة حادة، تشي بها العديد من التقارير الدولية والوطنية،[2] لعل من دلائل هذه الأزمة من المنظور السوسيولوجي؛ التناقض بين الخطاب التربوي المدرسي والخطاب التربوي المجتمعي، الذي ينعكس بشكل دال في سؤال القيمة، فما يتم إكسابه من قيم تربوية للناشئة، تقوم بقية المؤسسات الاجتماعية بتحطيمه، كما أن الخطاب التربوي لا يزال ضعيفا أمام هيمنة الخطاب المجتمعي، الذي تغذيه الثقافات الفرعية للجماعات الاجتماعية المختلفة، مما يوحي بأن المدرسة أصبحت الفضاء الذي تتنفس فيه الظواهر السلبية للمجتمع، مما أثر على أدوارها ووظائفها، و على تمثلات الأفراد لها.

عملت المدرسة العمومية بالجزائر على ترسيخ مجموعة من القيم بواسطة مناهجها ومضامينها التربوية، توزعت هذه القيم بين الوطنية والتربوية والاجتماعية. إلا أن الشواهد الواقعية والملاحظات الميدانية؛ تدل على أن هناك ترديا قيميا تعاني منه الأوساط المدرسية ذاتها، هنا، لا نتحدث عن إشعاع القيم في الفضاء الخارجي للمدرسة، وإنما عن عدم انعكاس القيم التي غرستها المدرسة في سلوكيات التلاميذ والطلبة في فضاءاتها، فمن المؤشرات الدالة على هذا؛ تزايد ممارسات العنف في الوسط المدرسي، وتزايد ظاهرة الغش كظاهرة تربوية سلبية في كل مستوياتها، مما يوحي بأن ما تعمل المدرسة على ترسيخه من قيم، يصبح كله موضع تساؤل سوسيولوجي، يكشف عن شكل من التناقض بين طموحات المنهاج التربوي للمدرسة في إكساب الناشئة قيم ايجابية معينة، وبين سلوكيات التلاميذ السلبية في مختلف الأطوار المدرسية، حيث نلاحظ انه كلما تقدم التلاميذ في الأطوار التعليمية كلما تزداد الظواهر التربوية السلبية انتشارا في الوسط المدرسي، وهو ما دفعنا إلى طرح التساؤل الرئيسي التالي:

كيف انعكست الاختلالات الوظيفية التي تعاني منها المدرسة العمومية الجزائرية على ترسيخ القيم لدى التلاميذ؟

2- أهمية الدراسة:

- تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها فتحت ورشة للتفكير السوسيولوجي في الممارسات القيمية داخل الفضاء المدرسي في الجزائر، وكذلك تنبع أهميتها من محاولة الكشف تأثير الإصلاحات التربوية على الممارسات القيمية لدى التلاميذ في المدرسة العمومة.

3- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- التعرف على الاختلالات الوظيفية التي تعاني منها المدرسة الجزائرية.
- الكشف عن السلوكيات داخل الفضاءات المدرسية التي تعكس الهشاشة القيمية لدى التلاميذ.
- الوقوف على أهم الإصلاحات التربوية التي عرفتها المدرسة الجزائرية.

4- المنهج:

تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في معالجة سؤال القيمة في المدرسة العمومية الجزائرية، حيث اعتمدنا على الملاحظات الميدانية والتقارير الدورية في الكشف عن بعض الممارسات السلوكية التي تعكس هشاشة القيمة لدى التلاميذ.

5- الاختلالات الوظيفية للمدرسة العمومية الجزائرية وانعكاساتها على منظومة القيم:

يقودنا التحليل السوسيولوجي الراهن المدرسة العمومية في السياق الجزائري إلى الإقرار بأنها تعيش أزمة خانقة، تتجلى هذه الأزمة في الاختلالات الوظيفية التي تعيشها كمؤسسة تربوية، حيث عانت هذه المدرسة من معضلة الإصلاح التربوي المتتالي، الذي يجلب معه في كل مرة، تصورات ومنظورات جديدة للمنظومة التربوية، فلا يكاد يمر العقد والعقدين من الزمن، حتى تتعرض المدرسة إلى تغيير جذري في وظيفتها وأهدافها، فالأزمة تسكن عمق المؤسسة المدرسية، تلك الأزمة التي تعطي بدون مواربة مؤشرات مقلقة، هي الوجه الآخر للتسويات غير المحسوسة، وفي أغلب الأحيان غير الواعية للهيكليات والترتيبات، التي من خلالها يتم إيجاد صيغة لحل التناقضات الناجمة عن وصول شرائح اجتماعية جديدة إلى التعليم الثانوي، [...] فنقول اللاوظيفية هي بكل مظاهرها الثمن الواجب دفعه من أجل الحصول على المنافع السياسية خاصة من علمية التوسع الديمقراطي في التعليم"[3].

أثرت الإصلاحات التربوية على وظيفة المدرسة العمومية في الجزائر، وجعلتها عرضة للتجاذبات السياسية، فكل مرحلة سياسية تحمل معها منظورا إصلاحيا، يكون معبئا بالرؤى الأيديولوجية للفاعلين السياسيين، حيث أوكل للمدرسة العمومية دورا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المراحل المبكرة من عمر الدولة الوطنية،" فالإصلاح التربوي يشير إلى منظومة من الإجراءات التربوية التي تهدف إلى إخراج النظام التربوي من أزمته إلى حالة جديدة من التوازن والتكامل الذي يضمن له استمراريته وتوازن في أداء وظيفته وبصورة منظمة"[4].

تكشف قراءة فاحصة للإصلاحات الثلاثة التي عرفتها المنظومة التربوية الجزائرية، عن الاختلاف في طبيعة الأهداف، ففي الإصلاح الأول كان الهدف من السياسة التعليمية يتمثل في إكساب البعد الوطني للتلاميذ،"بالتركيز على اللغة العربية كلغة رسمية، مع مراجعة ما تعلق بالدين والتاريخ، وعملية جزأرة السياسة التعليمية حملت معها توترات أيديولوجية، فأعطت للمدرسة الجزائرية هيكلية هوياتية قائمة على التراث، رغم أن الاستثمارات في هذه المرحلة وجهت إلى قطاع التكنولوجي والتنظيم الحكومي"[5].

أما الإصلاح الثاني الذي أجري في الثمانينات، وعرف بإصلاح المدرسة الأساسية،"يعتبر النظام التعليمي جزء من النهج الاشتراكي لإستراتجية التنمية، التي بدأت عام 1967، مع سلسلة القراءات مثل ميثاق الثروة

الزراعية، وميثاق الإجارة الاشتراكية للمؤسسات العمومية وإعادة صياغة التعلم العالي"[6]، هنا، عمل هذا الإصلاح على تعميق هدف الإصلاح الثاني. بينما الإصلاح التربوي الثالث، أحدث قطيعة جذرية مع الإصلاحات السابقة، حيث بعث النقاش في ثوابت الهوية الوطنية، وبعث جدلا واسعا حول مسألة اللغة، وشرع فيه في سنة 2000،" بعد تعيين اللجنة الوطنية لإصلاح النظام التعليمي، هذه الأخيرة التي قدمت تقييما وتشخيصا للوضعية التعليم في الجزائر، وأطلقت بعدها مبادرة لإصلاح المنظومة التعليمة"[7]، ليتم بعدها وضع هذا التقرير هذه اللجنة سنة 2001، "يتعلق هذا الإصلاح في المقام الأول ببرامج التدريس، والتلمذة الزمنية للتعليم لكل المستويات، والتأكيد على الالتزام ما قبل المدرسي ابتدءا من سنة 2009/2008"[8].

يُجمع المتخصصون في حقل التربية، أن الإصلاحات التربوية التي أدخلتها الحكومات المتعاقبة في زمن الدولة الوطنية الجزائرية، أدت إلى إضعاف المدرسة من الناحية الوظيفة في المجتمع، وتحولها إلى أداة للتجريب المستمر، حيث تم تكريسها من طرف الفاعلين السياسيين في كل مرة للانتقام من خصومهم إيديولوجيا، لذلك أضر هذا الإصلاح المتكرر القائم على القطائع الجذرية، بمعنى أنه لا يتم تثمين الايجابيات التي حققها الإصلاح الأول والبناء عليها في الإصلاح الثاني، وإنما الحادث أن كل إصلاح يقطع جذريا مع الإصلاح الذي سبقه، وتتجلى هذه الأضرار في المراتب الدنيا التي تشغلها المدرسة على المستوى العالمي،"بالنسبة للمؤشرات النوعية تشير التقارير الدولية أن جودة التعليم الابتدائي في المركز 96، وجودة التعليم العالي في المركز117، شراكة الصناعية.- الجامعة في البحث التنمية: المركز 119، القدرة الابتكار المركز 125، الانترنت في المدرسة المركز 125، تشير هذه النتائج إلى أن الجزائر تحتل المراتب الدنيا في النظام التعليمي من حيث تأثيره على الابتكار التكنولوجي والتنافسية الاقتصادية"[9]، وهناك مؤشران دالان على الاختلالات الوظيفية التي تعاني منها المدرسة العمومية، وكيف تنعكس هذه الاختلالات سلبيا على القيم المراد غرسها للناشئة، نبسط الكلام فيها فيمايلي:

5-1- قطيعة المدرسة العمومية عن محيطها الاجتماعي والاقتصادي في الجزائر:

انطلاقا من مجموعة من الملاحظات السوسيولوجية، وبعض الدراسات والأبحاث التي أجريت حول واقع المدرسة في المجتمع الجزائري، دونت قطيعتين رئيستين تعيشهما المدرسة العمومية بالجزائر، تتمثل القطيعة الأولى في القطعية الاجتماعية، حيث نلاحظ أن هناك قطعية بين المدرسة وباقي المؤسسات الاجتماعية، خاصة في مجال غرس القيم، نأتي إلى أولها مؤسسة الأسرة، فإذا كان الوظيفيون يشيرون إلى الدور الكبير الذي تؤديه مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة(الأسرة والمدرسة، والوسائل الإعلام...): "في الحفاظ على النظام الاجتماعي عبر الإشراف والمساهمة في تنشئة الأطفال والأجيال الجديدة ليكونوا أعضاء منسجمين مع النظام الاجتماعي القائم"[10]، فان هذا لا يعدو أن يكون وهما يتغذى عليه الفاعلون التربويون، فالملاحظ، أن هناك تعارضات حقيقية بين القيم التي تسعى المدرسة إلى ترسيخها والقيم التي ترسخها الأسرة،

مما يوقع المتلقي- التلميذ في نوع من التعارض، ينعكس على سلوكه في الوسط المدرسي وخارجه.

يمكن وصف هذه الحالة بمتلازمة الصراع القيمي، ودورها في ازدواجية السلوك لدى المتعلمين، فيؤمن التلاميذ ببعض القيم في سياقات اجتماعية معينة، ويوظفون نفس القيم في سياقات اجتماعية مغايرة، مما يكشف الهشاشة القيمية لدى التلاميذ، سندلل عليها لاحقا ببعض الظواهر المنحرفة في الفضاء المدرسي.

ترجع أصول هذا التناقض والتعارض إلى سؤال القيمة المراد ترسيخه، حيث تعلم المدرسة على ترسيخ قيم تنافى الروح الثقافية للمجتمع، وهذا كما ذكرنا سابقا، بسبب الإصلاحات التربوية ونفاذ ايديولوجيا الفاعلين السياسيين إليها، مما يؤثر سلبيا على بناء مدونة قيمية متسقة بين الأجيال، فهناك في الجزائر اليوم، ثلاثة أجيال، تمثل مخرجات ثلاثة إصلاحات تربوية، كل جيل تلقى منظومة قيمية، تتقاطع في بعض القيم وتختلف في قيم أخرى، ولا شك أن التحولات القيمية التي تجرى في المجتمع المعاصر،"لها من التبعات الشيء الكثير في واقع المؤسسات التعليمية والتربوية، وعلى سير العمليات التعليمية بالشكل المطلوب[...]فان ما يحثنا على التطرق إلى هذه الإشكالية هو وجود ضبابية في القيم المجتمعية المتفق بشأنها، والتي تمرر داخل المؤسسات التعليمية، أو بسب وجود هذه القيم، لكن مستوى التوافق حولها متدن إلى حد بعيد، وهو ما يطرح تداعيات عدة على هذا الحقل المفعم بالقيم والأخلاق"[11].

من زاوية نظر سوسيولوجي أخرى، تكشف الشواهد الواقعية أن القيم التي يتم ترسيخها على المستوى المجتمعي تختلف جذريا عن القيم التي ترسخها المدرسة، هذا التعارض بينهما، لا علاقة له بالتناقض بينهما، وإنما مرده التعارض في مصادر القيمة، فنجد أن الثقافة الشعبية التي تحمل قيم محددة، صاغها المجتمع عبر سياقات تاريخية طويلة، يغلب عليها الطابع البراغماتي، يلجأ الفرد إلى توظيفها على حساب القيم المدرسية،" ففي الوقت الذي تركز فيه المدرسة في برامجها الجديدة على ترسيخ قيم ثقافة حقوق الإنسان في الفضاء المدرسي وإدماج مبادئ مدونة الأسرة في البرامج التعليمية، وتحاول ترسيخ هذه المبادئ والقيم لدى المتعلمين، نجد أن التلميذ في العديد من الأسر مازال يلاحظ يوميا في بيئته الضيقة والواسعة، مختلف اللامساواة بين الجنسين والعنف الممارس على النساء والأطفال، إضافة إلى قيم سلبية أخرى في المجتمع كالغش وهضم حقوق الغير وانعدام ثقافة المواطنة"[12].

القطيعة الثانية بين المدرسة ومحيطها الاقتصادي، تتجلى بشكل صارخ في فقدان التعليم عامة لقيمته الاقتصادية في المجتمع الجزائري، حيث لاحظ بورديو كيف فقدت الشهادات الجامعية قيمتها المعنوية والمادية،"من الواضح أيضا أن المسؤولين المباشرين عن ظاهرة تجريد الشهادات من قيمتها بنتيجة التزايد الكبير في عدد الشهادات وفي عدد الحائزين عليها، أي الوافدين الجدد هم الضحية الأولى لتلك الظاهرة، فالتلاميذ أو الطلاب من أبناء أكثر الناس حرمانا على المستوى الثقافي لم يعد أمام على الأرجح في نهاية الدراسة الثانوية، التي غالبا ما يكون ثمنها تضحيات شديدة الوطأة إلا الحصول على لقب علمي غير ذي قيمة"[13]، إذن، خذلت المدرسة الكثير من مرتاديها، فلم تعد ذلك المصعد الاجتماعي، الذي يضمن لأبناء الطبقات الفقيرة

والسحيقة حراكا اجتماعيا، بل أصبحت تكرس أكثر التفاوتات الاجتماعية بين الأفراد، فانهارت القيم المراد غرسها لدى الناشئة مع التبخيص الذي طال الشهادات التعليمية، فإذا فقدت الشهادة المدرسية قيمتها الاقتصادية، فان بالنسبة للتلاميذ سقطت معها كل القيم الأخلاقية والتربوية التي تحويها، لذلك نلاحظ ذلك التردي القيمي في الفضاءات المدرسية بالمجتمع الجزائري.

2-5- التمثلات السلبية للمعلم لدى أجيال التعليم الجديدة:

لم يعد المعلم يحضى بتلك المكانة المقتدرة في المخيال الاجتماعي للأفراد في المجتمع الجزائري المعاصر، نظرا للتحولات التي طالت المدرسة الجزائرية، حيث تعكس المدرسة الجزائرية "خلال الأربعين السنة الماضية التغيرات العميقة التي عرفتها البلاد منذ استرجاع الاستقلال، مواردها البشرية، وظيفتها، ومحتوى المشاريع التعليمية تعتبر بمثابة المفاتيح الرئيسية لفهم المشكلات المرتبطة بتطور المواطنة في مجتمع لا يزال يفتقد إلى تقاليد في هذا الميدان"[14]، لذلك لم يفلت من هذه التغييرات التي طالت المدرسة المعلمون والمتعلمون، فأولى هذه التغيرات التي حدثت مع هذه التحولات المتسارعة؛ تمثلات الطلبة لمعلميهم، فمن التبجيل الذي حضي به المعلم في مرحلة السبعينات والثمانينيات، إلى غاية منتصف التسعينيات، إلى اختفائه تدريجيا في الفضاء المدرسي اليوم، فهناك تمثل سلبي، ساهمت في تشكيله العلاقة التسلطية التي تربط المعلم بالتلميذ،" فتُمارس عملية التعليم بالضرورة من خلال علاقة تسلطية؛ سلطة المعلم لا تناقش-(حتى أخطاؤه لا يسمح بإثارتها، وليس من الوارد الاعتراف بها)، بينما على الطالب أن يطيع ويمتثل، هذه العلاقة العقلانية تعزز النظرة الانفعالية إلى الوجود، لأنها تمنع الطالب من التمرس بالسيطرة على شؤونه ومصيره"[15].

إضافة إلى ظاهرة الاتجار بالتعليم، فأسفر المزج بين العولمة والفكر الليبرالي الاقتصادي الجديد عن تغييرات ومستجدات عديدة في قطاع التعليم على مستوى العالم، وفي الوطن العربي، "حيث تزايدت أهمية الأبعاد التجارية والسوقية، وغير من الطبيعة الاجتماعية والتنموية للتعليم، فتراجع اعتبار التعليم كخدمة عامة من أجل عائد ومنافع اجتماعية[...]وصارت أهمية التعليم تنصب بشكل اكبر واكبر على كونه استثمارا يحقق عائدات مادية"[16]، وتعتبر ظاهرة الدروس الخصوصية في هذا السياق، من ظواهر الاتجار بالتعليم في المجتمع الجزائري، فأثرت هذه الظاهرة سلبيا على قيمة المعلم في مخيال التلاميذ.

فإذا ظلت المدرسة تراهن على المعلم باعتباره محور العملية التعليمية، وأحد الأدوات الرئيسية في غرس القيم لدى التلاميذ، فان ممارساته الاجتماعية عبر الدروس الخصوصية أدت إلى تحطيم هذه الصورة النموذجية، فلم يعد ينظر إليه التلاميذ إلا كتاجر بالتعليم، يعرض بضاعته على تلاميذه، وما نيجر عن هذه العلمية التجارية من نزع للقداسة عن العملية التعليمية، وضرب لمصداقية القيم،" فالدروس الخصوصية التي يلجأ إليها الطلاب الآباء بطريقة تكاد تكون مستفحلة رغم كل الاعتراضات الجوفاء واتهام المدرسين بالجشع في الوقت الذي يجب أن يقف التعليم العام في قفص الاتهام إن لم يكن الحكم القاطع بالفشل"[17].

أدى تدني الوضعية الاجتماعية للمعلمين في الجزائر إلى تشكيل تمثلات سلبية لهم من طرف التلاميذ، فالوضعية الاجتماعية التي كانت تشغلها هذه الفئات في العقود السابقة، كانت تضعها ضمن فئات الطبقة الوسطى، أما اليوم فانحدرت بفعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية إلى الطبقة الفقيرة، فانعكس هذا سلبيا على رؤية المتعلمين لقيمة التعليم، من المعروف في المجتمعات الحديثة، أنه إذا انهارت القيمة المادية فانه سيتبعها انهيارا في القيم التربوية والأخلاقية، لذلك تحمل المواقف الاجتماعية من المعلم نوعا من الشفقة الاجتماعية تجاههم، فأدت هذه الوضعية الاجتماعية السيئة للمعلمين إلى شن إضرابات بشكل دوري للمطالبة بحقوقهم المادية، ما حطم تلك الصورة الأخلاقية المثالية للمعلمين.

6- هشاشة القيمة وتردي السلوك التربوي في المدرسة العمومية الجزائرية.

أصبحت المدرسة العمومية الجزائرية فضاءً للعديد من السلوكيات المنافية للقيم، التي من المفترض أنها قد قامت بغرسها في وجدان تلاميذها، فبرغم من كون المناهج التربوية والكتب المدرسية بمحتوياتها تسعى لغرس قيم تربوية تخدم الصالح العمومي، إلا أن المخرجات المدرسية تشير إلى عكس ذلك، فهناك تنامي غير مسبوق للظواهر التربوية السلبية، تشي بأن هناك أزمة قيم في المدرسة، "فينطوي مفهوم الأزمة على تناقض بين أمرين أو أكثر، وينطوي هذا التناقض بدوره على صراع يفترض بأن يكون على درجة عالية من الشدة. وعلى المستوى الأخلاقي تبرز الأزمة عندما يجد الفرد نفسه ضحية واجبين متكافئين من حيث الأهمية مثل الصراع بين واجب الطاعة لإرادة أم أو أب متعارضين في الرأي"[18]، هذا التناقض بين القيم النموذجية التي تسعى إلى غرسها المدرسة العمومية، والسلوكيات الاجتماعية للتلاميذ في الفضاءات المدرسية، التي تقع على النقيض منها تماما، يدفعنا إلى طرح سؤال سوسيولوجي عن طبيعة هذه الأزمة القيمية.

التناقضات الحاصلة بين القيم والسلوكيات التلاميذ، تدل بما لا يدع مجالا الشك بأن هناك أزمة قيم تربوية، يستشعرها الفاعلون التربويون، كما يشعر بها المتخصصون المهتمون بشؤون التربية والتعليم، لذلك هناك ظاهرتين، انتشرت بشكل مستفحل في الأوساط المدرسية، وهما، ظاهرة العنف بكل أشكاله، والذي يقع على الطرف النقيض من قيمة التسامح، وظاهرة الغش في الامتحانات الرسمية، التي تقع على الطرف النقيض من قيمة الأمانة، نؤشر بهما على تجليات هذه الأزمة القيمية، ونبسط الكلام حولهما، كمايلي:

6-1- العنف في المدرسة العمومية بالجزائر (السب والشتم، الاعتداء الجسدي، التنمر،...).

تشير العديد من التقارير التي تصدرها وزارة التربية والتعليم أو منظمات المجتمع المدني[19]، إلى اجتياح ظاهرة العنف للوسط المدرسي الجزائري، الذي أصبح يمس مختلف الأطوار، وإن كان الطور الثانوي؛ يعرف أعلى المعدلات الإحصائية، فمن المعروف، أن ظاهرة العنف ما هي إلا مظهر من:"مظاهر الأزمة المجتمعية التي تعانيها المجتمعات العربية، مثل أزمة الهوية وغياب القدوة السلوكية، واهتزاز القيم والمعايير، وتزعزع الثقة في النظم وزيادة الإحساس بالفراغ الفكري والثقافي،

أهم العوامل المؤدية للعنف."[20]، تتعدد العوامل الاجتماعية المسببة لهذه الظاهرة، إلا أنها تعبر بشكل صارخ عن أزمة قيمية عميقة.

كانت المدرسة الجزائرية إلى وقت قريب حصنا منيعا ضد العنف المجتمعي بمختلف أشكاله، لكن مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري في العقدين الأخرين، فإن العنف أصبح من الظواهر التي تطالعنا به وسائل الإعلام بشكل يومي، مما يدل على التنامي غير المسبوق لهذه الظاهرة في الأوساط المدرسية، وينسف كل الجهود التربوية التي عملت على ترسيخ قيمة التسامح والتعاون، فبالرغم من أن التلميذ يقضي ساعات طويلة في الصف الدراسي مقارنة بما يقضيه مع أسرته وفي الفضاء العام، ويتلقى طيلة هذه الساعات الآداب والسلوكيات والأخلاق البناءة، إلا أن الهيئات التربوية والأسرة المدرسية تشتكي من استفحال ظاهرة العنف بأشكاله بين التلاميذ على اختلاف مستوياتهم وخلفياتهم الاجتماعية.

في دراسة أعدتها وزارة التربية الوطنية حول العنف المدرسي، سجلت اجتياح العنف المؤسسات التربوية بالجزائر، نجد العنف التلاميذ ضد بعضهم،"حيث فاق عدد الحالات المسجلة 25 ألف حالة، ووصل عدد حالات العنف المسجلة خلال السنة الدراسية 2010 /2011 إلى 3543 حالة عنف بين تلاميذ الابتدائي وأكثر من 13 ألف حالة عنف في الطور المتوسط، وأكثر من03 آلاف حالة في التعليم الثانوي"[21].وهناك ظاهرة العنف ضد المعلمين والمراقبين،"فتكشف الإحصائيات عن وجود 201 حالة عنف من قبل تلاميذ الابتدائي ضد المعلمين والفريق التربوي، و2899 حالة عنف في المتوسط ضد الأساتذة، فيما تعرض 1455 أستاذ للعنف من قبل طلبة الثانوي، أما بالنسبة لحالات العنف ضد الأساتذة فقد تم تسجيل 1942 حالة عنف في الأطوار الثلاثة" [22]، مما يوحي بأن الفضاء المدرسي تحول إلى فضاء عنيف بامتياز، ما يدفعنا إلى طرح سؤال عن القيم التي سعت المدرسة إلى غرسها، وهناك فرضيتان لتفسير هذه الظاهر، إما أن المدرسة نظرا الاختلالات التي عرفتها عجزت منهجيا وأدائيا عن غرس القيم، وإما أن القيم التي تسعى إلى ترسخها تكون ضعيفة بالمقارنة مع القيم التي يُرسخها الفضاء المجتمعي.

هناك أيضا تمرد التلاميذ، الذي يعبر عن رفض القيم التي تسعى المدرسة إلى ترسيخها عن طريق سلطة الإقناع والإكراه، هنا، تدل بعض الإحصائيات أن العنف يقع في المناطق الحضرية الهامشية أو المناطق الحضرية السيئة في المدينة، فتصبح ظاهرة العنف المدرسي تعبيرا من جهة على التفاوتات الاجتماعية بين الأفراد المتمدرسين، وتعكس من جهة أخرى، أزمة على مستوى الرابط الاجتماعي، "فأحد المشكلات التي تواجهها المدارس اليوم، تتمثل في إشكال مقاومة النظام المدرسي، التي تصنف في خانة: قلة الأدب، وفي نمط من العنف يدخل في رفض التغيب المتكرر، أو ما يعرف بالتسرب المدرسي، لتصبح أكثر تكرارا وتماديا"[23]، لذلك يرتبط العنف المدرسي بظواهر الإقصاء والتهميش الاجتماعي، الذي تتعرض له العديد من الفئات الاجتماعية، "فتقع المؤسسات الهشة في المناطق الحضرية المتخلفة، والأحياء الفقيرة، وفي المناطق التي تعيش فيها الطبقات الاجتماعية التي تعيش صعوبات

اقتصادية، لذلك، تأخذ الانحرافات المدرسية أشكال عديدة"[24]، حيث تسجل المناطق الحضرية السيئة أعلى معدلات العنف المدرسي في المدن الجزائرية.

2-6- الغش في الامتحانات في المدرسة العمومية الجزائرية:

تعتبر ظاهر الغش في الامتحانات من الظواهر التي أصحبت أكثر انتشارا في الأوساط التربوية الجزائرية، فالغش في الامتحانات وفي ما يشابهها من وسائل التحايل على قواعد التقويم، "ومن بين أنماط السلوك المنحرف الذي يمثل مظهرا من مظاهر فشل العملية التعليمية، لذلك تنص الأنظمة المدرسية على معاقبة مرتكب هذا الفعل. وفي كثير من الأحيان يكون العقاب قاسيا يصل إلى حرمان الطالب من عمل سنة دراسية كاملة"[25].

يشير الغش في اللغة الفرنسية إلى الاحتيال المرتكب أناء الامتحانات أو المنافسة للحصول على مزايا معينة، وهو خيانة الأمانة وعدم احترام القيم التي نتظاهر بالدفاع عنها، وفي اللغة الانجلوساكسونية يتم النظر للغش على أنه شكل من أشكال الخيانة الأمانة الفكرية"[26]، وحصر الباحثون الغش في الأنماط التالية:"نسخ/ورقة، الإطلال على ورقة التلميذ الزميل، واستعادة ورقة أوساخه، ونسخ جزء من معلومات زميله ونسبها إلى ذاته، تزوير نتائج التجربة، وكيفية إجرائها، استخدام الوسائط غير المصرح بها، كالآلة الحاسبة، الهاتف النقال،...الخ، الغش الجماعي من خلال تشكيل فريق جماعي للغش، والتعاون فيما بينهم على تبادل المعلومات، وتقسيم العمل فيما بينهم"[27].

حاول النظام المدرسي الجزائري الحد من ظاهرة الغش، ففي بنود نظامه الداخلي ينص على معاقبة كل من يحاول أن يتحايل على القواعد المدرسية السوية، ويهدد القيم السليمة التي يسعى لغرسها في الناشئة، إلا أن الملاحظ، استفحال ظاهرة الغش المدرسي في السنوات الأخيرة، مما يوحي أن هناك خللا تربويا ما، يشي بأن قيمة الأمانة وقيمة العمل بالطرق المشروعة التي ينطوي عليها المنهاج الدراسي، والتي تقضي المدرسة سنوات في ترسيخها للتلاميذ، أصبحت دون جدوى، وهذا يقودنا أيضا إلى محاولة أن نقدم تبريرا سوسيولوجيا لهذا الاختلال بين القيمة والسلوك في الوسط المدرسي، "فيمكن تفسير لجوء الطلبة للغش إلى فقدان الإحساس بأهداف المدرسة، تخفيف المتطلبات الأكاديمية وإضعاف سلطة التدريس، بينما يرجعه البعض إلى زيادة المنافسة المدرسية"[28].

رغم الإجراءات الجديدة التي اتخذتها وزارة التربية في محاربة هذه الظاهرة في الامتحانات الرسمية، إلا أن الظاهرة في تزايد مستمر، حيث قامت الوزارة بإرسال مجموعة من التعليمات التنظيمية للمديريات التربوية تنص على تزويد الحراسة داخل الصف بزيادة عدد الأساتذة الحراس والاستعانة بقوات الأمن خارجا لتفتيش حقائب المرشحين وجيوبهم ونقل الأسئلة مابين المديريات والمدارس تفعيل التقنية الحديثة للتشويش على الهواتف الذكية، الاستعانة بالشرطة الالكترونية لمحاربة تسريب نصوص الامتحانات ومقاضاة المتورطين في ذلك، وغيرها من الإجراءات التي خلقت ضجة إعلامية.

تكشف الدراسات التربوية أن ظاهرة الغش في الامتحانات تعصف بقيمة الأمانة العلمية، ومن

الأسباب التي تؤدي للاحتيال المدرسي من وجهة نظر الأكاديميين، عوارض النجاح، رؤية الذات، الضغط الكبير للعقوبة الاجتماعية في حالة الفشل، وضعف الجانب الروحي للمتعلم(غياب دور المسجد، الشعور بالاحتقار المجتمعي لذوي الشهادات العليا في المجتمع، مما يقلل من كرامة الإنسان"[29]، لكن المدرسة لا تتحمل وحدها هذا العبء، فالأسرة والسلطة السياسية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع كلها شريك في انتشار هذه الظاهرة بين المتعلمين، وكل ما سبق ذكره يكسر صورة القيم والأخلاق في ذهنية التلميذ ويهدد مستقبله ومستقبل المجتمع، فإن كن طبيبا أو مهندسا فهو تهديد لحياة الأفراد، وان كان معلما أو أستاذا فهو تهديد كبير لمستقبل الأجيال اللاحقة وتهديد كبير لمنظومة قيم المجتمع.

خاتمة.

- تعرضت المدرسة العمومية في الجزائر إلى سلسلة من الإصلاحات التربوية المتتالية، أثرت سلبيا هذه الإصلاحات على المدرسة الجزائرية، وجعلتها عرضة للتجاذبات السياسية بين مختلف القوى الاجتماعية والتيارات الثقافية، مما أنهك المدرسة وأدخلها في أزمة خانقة، تشي العديد من المؤشرات بها، كاحتلالها المراتب الأخيرة في التصنيفات الدولية، كما أن المدرسة أصبحت فضائها الداخلية عرضة للعديد من الظواهر السلبية، كالعنف، والغش،...الخ.

-كشفت الدراسة أن الظواهر السلبية التي تعيشها الأوساط المدرسية في الجزائر، تضع القيم التي تعمل على ترسيخها موضع تساؤل سوسيولوجي، فظاهرة العنف في تزايد مستمر، وكذلك ظاهرة الغش في الامتحانات رغم كل الإجراءات الردعية، إلا أنها في انتشار مستمر، فدلت هذه الدراسة أن هذا التناقض بين القيمة والسلوك لدى التلميذ الجزائري، يؤكد أن المدرسة تعاني من اختلالات وظيفية، فاقمتها التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري المعاصر. **التوصيات:**

-ضرورة ربط القيم التي تعمل على ترسيخها المدرسة العمومية الجزائرية بالروح الثقافية للمجتمع الجزائري.

- إبعاد المدرسة العمومية عن التجذابات الأيديولوجية والسياسية من خلال ترسيخ القيم الحضارية للمجتمع الجزائري.

-التكامل بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية (المدرسة، الأسرة، والمسجد...) في ترسيخ القيم لدى التلاميذ.

قائمة المراجع:

1- أنظر: التقرير الدولي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة، التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، تقرير إقليمي عن الدولة العربية، .2015

2-جاء في تقرير مفصل حول جودة التعليم لعام 2014/2013، الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، أن الجزائر احتلت المرتبة 100 من بين 148 دولة في جودة النظام التعليمي.

3- محمد عباس إبراهيم، الثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، 2013، مصر، ص 19-20.

4- بيار بورديو، بؤس العالم، منبذو العالم، ترجمة:

5- علي اسعد الوطفة، الإصلاح التربوي في الوطن العربي: تحديات وتطلعات مستقبلية، مجلة الطفولة التربوية، العدد6، 2001، ص.80

6-Fatima Nekkal Mutations structurelles du système educatif en algerie et refondation

economique Education. Université de Bourgogne, 2015.p82.

7-Ibid. p83

8-Ibid. p86.

9-Fatima Nekkal, « Pratiques pédagogiques et réformes éducatives en Algérie : une étude de cas », Insaniyat, *p*60-61

10- **Fatima** Nekkal, « Les réformes éducatives en Algérie ont-elles contribué à la formation du capital humain ? », Insaniyat, *p* 75-76 | 2017, p89.

11-نادر الكاظم، الطفولة وغرس القيم :في تفكيك مجاز الزراعة- دراسة نقدية في نظريات التنشئة الاجتماعية للقيم"مجلة عمران، قطر: المركز الأبحاث ودراسة السياسات، العدد20، ربيع 2017، ص82.

12- رشيد الجرموني، المنظومات التربوية العربية، بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل، مجلة عمران،قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد10، خريف 2014، ص.89

13 -الصادق الصادق العماري، التربية وتحديات المستقبل، مقاربة سوسيولوجية، المغرب: إفريقيا الشرق، ط1، 2015، ص.19

14- بيار بورديو، بؤس العالم منبذو العالم، ترجمة: رندة بعث، ج3، ط1، سوريا: دار كنعان، 2010، ص16/. 17

15-Ahmed Djebbar, « Éducation et société », Revue internationale d'éducation de Sèvres, N24 , 1999, p45.

16-مصطفى حجازي، التخلف، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط9، ص79، 2005.

17-محيا زيتون، التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2013، ص.15

18-نعيمان عثمان، تربية من دون تعليم، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط1، 2009، ص.84

19- علي اسعد الوطفة، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة نقد وتنوير، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، عدد خاص، فبراير، 2015، ص.4

20-Journal liberté, Violence en milieu scolaire : 6500 cas enregistrés en 2014.

consulter ;https://www.liberte-algerie.com

21-فوزي احمد دريدي، العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2007، ص146.

22- الجزائر تحتل الصدارة مغاربيا في ظاهرة العنف المدرسي، انظر الموقع الالكتروني:

https://www.djazairess.com/djazairnews/325214) 6

23- الجزائر تحتل الصدارة مغاربيا في ظاهرة العنف المدرسي، انظر الموقع الالكتروني:

https://www.djazairess.com/djazairnews/

24-Payet Jean-Paul. La ségrégation scolaire [Une perspective sociologique sur la violence à l'école]. In: Revue française de pédagogie, volume 123, 1998. La violence à l'école : approches européennes. p26.

25- ibid., p27.

26-مصطفى عمر التير، عثمان علي أميمن، التغيير في أنساق القيم ووسائل تحقيق الأهداف، نموذج الغش في الامتحانات، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2003، ليبيا، ص10.

27-Christophe Michaut. Les nouveaux outils de la tricherie scolaire au lycee. Recherches en education, CREN - Universit´e de Nantes, 2013, p132.

28-Guibert, P., &Michaut, C. (2009). Les facteurs individuels et contextuels de la fraude aux examens universitaires. Revue française de pédagogie,n (169), p 43.

29-Christophe Michaut. Les nouveaux outils de la tricherie scolaire au lycée. Recherches en éducation, CREN - Université´e de Nantes, 2013, p133.

قائمة المراجع:

1- بيار بورديو، بؤس العالم منبذو العالم، ترجمة: رندة بعث، ج3، ط1، سوريا: دار كنعان، 2010.
2- التقرير الدولي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة، التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، تقرير إقليمي عن الدولة العربية، 2015.
3- الجزائر تحتل الصدارة مغاربيا في ظاهرة العنف المدرسي، انظر الموقع الالكتروني: https://www.djazairess.com/djazairnews/
4- الجزائر تحتل الصدارة مغاربيا في ظاهرة العنف المدرسي، انظر الموقع الالكتروني: https://www.djazairess.com/djazairnews/32521
5- رشيد الجرموني، المنظومات التربوية العربية، بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل، مجلة عمران،قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد10، خريف 2014.
6- الصادق الصادقي العماري، التربية وتحديات المستقبل، مقاربة سوسيولوجية، المغرب: إفريقيا الشرق، ط1، 2015.
7- علي اسعد الوطفة، الإصلاح التربوي في الوطن العربي: تحديات وتطلعات مستقبلية، مجلة الطفولة التربوية، العدد6، 2001.
8- علي اسعد الوطفة، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة نقد وتنوير، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، عدد خاص، فبراير، 2015.
9- فوزي احمد دريدي، العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2007.
10- محمد عباس إبراهيم، الثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، 2013، مصر.
11- محيا زيتون، التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2013.
12- مصطفى حجازي، التخلف، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط9، 2005.
13- مصطفى عمر التير، عثمان علي أميمن، التغيير في أنساق القيم ووسائل تحقيق الأهداف، نموذج الغش في الامتحانات، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2003، ليبيا.
14- نادر الكاظم، الطفولة وغرس القيم :في تفكيك مجاز الزراعة- دراسة نقدية في نظريات التنشئة الاجتماعية للقيم"مجلة عمران، قطر: المركز الأبحاث ودراسة السياسات، العدد20، ربيع 2017.

15- نعيمان عثمان، تربية من دون تعليم، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط1، 2009.

16- Ahmed Djebbar, « Éducation et société », Revue internationale d'éducation de Sèvres, N24 , 1999.

17- Christophe Michaut. Les nouveaux outils de la tricherie scolaire au lycee. Recherches en education, CREN - Universit´e de Nantes, 2013.

18- consulter ;https://www.liberte-algerie.com

19- Fatima Nekkal Mutations structurelles du système educatif en algerie et refondation economique Education. Université de Bourgogne, 2015.

20- Fatima Nekkal, « Les réformes éducatives en Algérie ont-elles contribué à la formation du capital humain ? », Insaniyat, 2017.

21- Fatima Nekkal, « Pratiques pédagogiques et réformes éducatives en Algérie : une étude de cas », Insaniyat, .

22- Guibert, P., &Michaut, C. (2009). Les facteurs individuels et contextuels de la fraude aux examens universitaires. Revue française de pédagogie,n (169.

23- Journal liberté, Violence en milieu scolaire : 6500 cas enregistrés en 2014.

24- Payet Jean-Paul. La ségrégation scolaire [Une perspective sociologique sur la violence à l'école]. In: Revue française de pédagogie, volume 123, 1998. La violence à l'école : approches européennes.